المبحث الثالث السورة

نظرة عامة إلى مفهومها وبعض الأمور الملابسة لها

إن الناس أحسنوا القول كلهم فمن
وافق فعله قوله فذلك الذي أصاب حظه
ومن خالف فعله قوله فإنما يوبخ نفسه.
ابن مسعود

١- السورة لغة واصطلاحا

إن كلمة السورة- وجمعها سور- في إطلاقها القرآني إما مأخوذة من سورة البناء وهي القطعة منه[١] أو من سور المدينة: حائطها المشتمل عليها وسورة القرآن تشبهها لكونه محاطا بها إحاطة السور بالمدينة،[٢] غير أنه يوهن هذا الاحتمال أن جمع سورة البناء على سور بضم السين وسكون الواو كالصوف وجمع سورة القرآن على سور بضم السين وفتح الواو،[٣] أو من السورة بمعنى المنزلة الرفيعة كما قال النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ❖ ترى كل ملك دونها يتذبذب[٤]

---

١) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الرابعة، مصر ١٩٧٨، ج ١، ص ٦٩.

٢) الإصفهاني، الحسين بن محمد راغب، **مفردات ألفاظ القرآن**، دار القلم، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٢، ص ٤٣٤.

٣) الجزائري طاهر، **التبيان لبعض المسائل المتعلقة بالقرآن على طريقة الإتقان**، دار البشائر، الطبعة الثالثة، بيروت ١٤١٢، ص ١٦٠.

٤) الراغب، السابق، ص ٤٣٤، السيوطي، السابق، ج ١، ص ٦٩، الجزائري، السابق، ص ١٦٠.

وقيل وقيل ...[1]

والسورة بمعناها الاصطلاحي كما قال **الجعبري** وذكره **السيوطي** (م. ٩١١هـ.):

قرآن يشتمل على آي ذات فاتحة وخاتمة. وقيل السورة: الطائفة المترجمة توقيفا أي المسماة باسم خاص بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم.[2]

بينما لا ننسى أن هذا المعنى الاصطلاحي الجديد لكلمة السورة من مستجدات القرآن ولم يسبق له استعمال في هذا المعنى قبل القرآن كما نجد ذلك في كثير من تلك الألفاظ التي استعملها القرآن في عالم مصطلحه الخاص الذي أحدثه هو كالصلاة والزكاة والتقوى وغيرها.

٢- حكمة تسوير القرآن إلى سور

إن القرآن قسم إلى مائة وأربع عشرة سورة كما سيأتي. فمنهن قصار مركبة من سطر أو سطرين أو ثلاث أو أربع أو..وهكذا، ومنهن متوسطة مركبة من صفحة أو صفحتين إلى أكثر من ذلك و منهن طوال مركبة من عشرات الصفحات ولله سبحانه في تقسيم كتابه إلى سور مختلفة في القصر والطول حكم كثيرة وهامة:

---

١) انظر المصادر السابقة نفسها.

٢) السيوطي، السابق، ج ١، ص ٦٩.

منها تيسير مدارسة القرآن وحفظه فإن حفظ الأجزاء القليلة أيسر مع أن النفس أنشط في التدرج من اليسير إلى الكثير. كما قال سبحانه **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**[1]

ومنها تيسير تناول الموضوعات من خلال السور فإنه إذا أمعن النظر في معاني السور يرى أن الغالب منها يتركز على المواضيع المحددة.

ومنها أن غالب السور يشتمل على تلك المقاصد الأربع للقرآن وهي التوحيد والرسالة والحشر والعدل وبذلك تكون السورة كخلاصة للقرآن فإذا ما قرأ القارئ سورة ورأى من خلالها تلك المقاصد الأربعة فيكون كأنه قرأ القرآن كله.

ومنها الإشارة إلى أن طول السورة ليس شرطا في إعجازها بل هي معجزة وإن بلغت الغاية في القصر كسورة الكوثر.[2]

ومنها أن في هذا التقطيع والترتيب الذي نتج منه حجة تامة على أن القرآن ليس من عند الرسول وإلا فكان المفروض أن يكون ترتيب السور على ترتيب غير هذا الترتيب لأن الترتيب البشري يكون له أسباب ومرجحات تعلم بالنظرة الأولي البسيطة لأن الإنسان إذا رتب كتابا من تلقاء نفسه فلا يتصور أن يكون ترتيبه بلا مرجح وخصوصا في كتاب يكون على مستوى عال من الأناقة والجودة والحكمة بل يكون

---

١) القمر، ١٧/٥٤، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

٢) الزرقاني محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، دار إحياء الكتب العربية، بلاتاريخ، ج١، ص ٣٤٤.

ترتيبه حسب أحد من المرجحات الآتية إما على حسب الوضع كما هو الدائم في تآليف البشر تراهم يجعلون من الأبواب أولا فأولا ما وضعوه أولا إلا نادرا من غير ذلك فحينئذ كان المفروض أن يرتب ابتداء من القرآن المكي ومن أول سورة ألقيت على الناس ولا نجد في القرآن ذلك الترتيب الزمني الذي يكون على حسب الإلقاء،

وإما أن يكون حسب القصر والطول بأن يرتب من القصير إلى الطويل أو بالعكس ونرى أن ذلك - وإن روعي في الجملة- لم يراع في كل سور القرآن تماما،

وإما أن يكون الترتيب حسب المواضيع وهذا أيضا ما لا نجده في القرآن فكما يتبين أن هذا التقطيع والترتيب ليس من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذلك يتبين أن هذا الكتاب العزيز أيضا ليس من صنعه.

وقال **الزمخشري (ت ٥٣٨)**: في تقطيع القرآن إلى سور فوائد جمة:

منها أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع وأصناف كان أحسن وأفخم من أن يكون بابا واحدا،

ومنها أن القارئ إذا أتم سورة من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأبعث على التحصيل منه لو استمر الكتاب بطوله (كما يجد كل أحد منا ذلك النشاط أوفر إذا كان الكتاب مقطعا على أبواب و فصول)

ومنها أن الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها، فيعظم عنده ما حفظه ومنه حديث أنس: **كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا.**[1]

٣- عدد سور القرآن

إن النص القرآني يتكون من ١١٤ سورة كما ذكرنا ومن ٦٢٣٦ آية* ومن ٧٧٩٣٤ كلمة ومن ٣٢٣٦٧١ حرفا.

إن الذين يعتد بإجماعهم أجمعوا على هذا العدد لسور القرآن الكريم. وهناك أقوال أخر لم تلق من الأمة قبولا. وننقل حول عدد سور القرآن هذه الكلمة الجامعة **للزركشي** (ت. ٧٩٤ هـ) إذ يقول:

---

١) الزمخشري أبي القاسم جار الله محمود، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأخيرة، مصر ١٣٩٢-١٩٦٢، ج ١، ص ٢٤١-٢٤٢.

*) هذا العدد حسبما أحصيته في المصاحف المطبوعة بالمملكة العربية السعودية المرسومة على الرسم العثماني برواية حفص عن عاصم. وهو يوافق سادس الأقوال التي ذكرها السيوطي في إتقانه و هاك تلك الأقوال الأخر في عدد الآيات فقيل ٦٢٠٤ وقيل ٦٢١٤ وقيل ٦٢١٩ وقيل ٦٢٢٥ وقيل ٦٢٣٦ وقيل ٦٢١٦ وقيل ٦٠٠٠ آية (السيوطي، الإتقان، ج ١، ص ٦٩) و رأيت بعض المعاصرين وهو إسماعيل راجي الفاروقي ذكر في كتابه أطلس الحضارة الإسلامية (ترجمة عبد الواحد لؤلؤة إلى العربية، الطبعة الأولى، الرياض ١٤١٩/١٩٩٨، ص ١٦٣) أن عدد الآيات ٦٦١٦ ولكن ما وجدنا لذلك مسندا من أقوال المتقدمين. جميع هذه الاختلافات إنما نشئت من اختلاف القراء في طول وقصر بعض الآيات.

واعلم أن عدد سور القرآن العظيم باتفاق أهل الحل والعقد مائة وأربع عشرة سورة كما هي في المصحف العثماني أولها الفاتحة وآخرها الناس. وقال **مجاهد** (ت١٠٤) وثلاث عشرة بجعل الأنفال والتوبة سورة واحدة لاشتباه الطرفين وعدم البسملة ويرده تسمية النبي صلى الله عليه وسلم كلا منهما باسم مستقل. وكان في مصحف **ابن مسعود** اثنتا عشرة لم يكن فيها المعوذتان لشبهة الرقية وجوابه رجوعه إليهم وما كتب الكل. وفي مصحف **أبيّ** ست عشرة وكان دعاء الاستفتاح والقنوت في آخره كالسورتين ولا دليل فيه لموافقتهم وهو دعاء كتب بعد الختمة.[١]

بعض هذه السور طوال وبعضها أوساط وبعضها قصار وقال ابن الحصار ترتيب السور ووضع الآية موضعها إنما كان بالوحي وهناك روايات أخرى تفيد أيضا أن ترتيب السور كان توقيفيا[٢]

نزل من القرآن بمكة ست وثمانون سورة وبالمدينة ثمانية وعشرون سورة على إحدى الروايات عن ابن عباس.[٣]

ويذكر السيوطي عن أبي الحسن بن الحصار أن عشرين سورة اتفق على أنها نزلت بالمدينة واختلف في اثنتي عشر سورة والباقي مكي باتفاق.[٤]

---

١) الزركشي محمد بدر الدين بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، عيسى البابي الحلبي الطبعة الرابعة ، ج ١ ص ٢٥١.

٢) انظر السيوطي، الاتقان، ج ١، ص ٦٤-٦٥.

٣) المصدر السابق، ج ١، ص ١١.

٤) نفس المصدر.

٤- تسمية السور توقيفية أم اجتهادية

إن تسميات السور وقع فيها خلاف لكن ليس كبيرا فنجد من العلماء المعاصرين من أمثال **محمد أبي شهبة** المصري يذكر هذا الخلاف حيث يقول: قيل (كان على **أبي شهبة** أن يعزو هذا القول إلى قائله توثيقا واطمئنانا) إنها توقيفية وعليه فنقف عند حد الوارد منها وقيل إنها اجتهادية وعلى هذا فلا يعدم الناظر أن يستنتج للسورة الواحدة أسماء أخرى غير الواردة والظاهر الأول.[١] ونجد السيوطي يذكر قولا واحدا حيث يقول: وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك،[٢] ويعلق **أبو شهبة** على هذا المقال انطلاقا من قول السيوطي: "من الأحاديث والآثار" بقوله: "وعلى هذا يكون التوقيف أعم من أن يكون عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة الذين شهدوا الوحي والتنزيل"[٣]، ولكن رأينا ما رأينا أن العلماء سلفا وخلفا يطلقون التوقيف على ما وقف على الله أو على النبي صلى الله عليه وسلم ولم نرهم يطلقون التوقيف - انطلاقا مما سبق من المغزى - على اجتهادات الصحابة أنفسهم[٤]، فهذا الاتجاه الجديد من أبي شهبة في معنى التوقيف شيء مبتدع لا يوافق عليه.

---

١) محمد بن محمد أبو شهبة، **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، مكتبة السنة، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٢، ص ٢٨٩.

٢) السيوطي، السابق، ج ١، ص ٦٩.

٣) أبو شهبة، السابق،

٤) راجع من السلف الزركشي، البرهان، ج ١، ص ٣٥٤، ٣٥٣، ٤٥٧، ٣٦٤،

لا ضير علينا في ذلك مهما كانت التسمية توقيفية أم اجتهادية فإن وجه الحكمة بادية فيها. ولو قبلنا أنها باجتهاد من الصحابة أو تبعهم فهو أيضا اجتهاد موفق غير خارج عن صوب الحكمة القرآنية، يتناسب مع حكمة القرآن وعظمته كما يتناسب مع نظرته الشمولية العالمية و سترى ذلك واضحا بإذن الله تعالى.

٥- حكمة تسمية السور بأسمائها

إن تسمية سور القرآن بأسمائها لا يمكن أن يتصور أنها عشوائي خال من الفائدة والحكمة وخصيصا إذا ما لاحظنا أنها توقيفية- كما أسلفنا- أي بإرشاد من صاحب الوحي صلوات الله وسلامه عليه كما قرره **السيوطي**[1]. فاستشعار وجه الحكمة فيها يكون متحتما واستكشاف وجه الدقة فيها عندئذ يكون متأكدا ووجودها يكون محققا لا غبش عليه ولا شك فيه لكن يعلمها من يعلمها ويجهلها من يجهلها.

ومع أن بعضا من السور له اسم واحد لكن البعض الغالب منها له أسماء متعددة غير أننا أعرضنا في دراستنا هذه عن التعرض لتلك الاختلافات الطويلة و التعددات الكثيرة[2] فإنها تبعد بنا

السيوطي، **تناسق الدرر في تناسب السور**، **تحقيق عبد الله محمد الدويش**، عالم الكتب، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٧، ص ٢٧-٣٠، ومن الخلف عدنان محمد زرزور، **علوم القرآن**، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٩١، ص ١٠٦-١٠٧.

١) السيوطي، السابق، ج ١، ص ٦٩.

٢) راجع الزركشي، البرهان، ج ١، ص ٣٦٦-٣٦٧، السيوطي، السابق، ج ١، ص ٧٠-٧١، أبو شهبة، السابق، ص ٢٩٠-٢٩١.

الشقة[1] واعتمدنا على ما اشتهر في بلادنا من أسماء السور في النسخ القرآنية والمصاحف المكتوبة على الرسم العثماني. ولكننا لم نهمل بعض تلك التعددات المشتهرة أيضا كما سيأتي.

رأينا ما رأينا أن قدامى العلماء المشتغلين بدراسات القرآن لم يعطوا وجه تسمية السور حقها ولم يقفوا عندها وقفة المتأني كي يستنبطوا منها معاني سامية متوائمة مع رسالة القرآن العالمية وهدايته الحكيمة وسياسته الرشيدة و أما تلك النظرة الكلية الشمولية المصفاة من جميع أسماء السور التي تنعكس منها كوحدة قرآنية على شاشة العقل صورة حضارية ورؤية عالمية نابعة من الكيان القرآني فهذا ما لا تجد إليه سبيلا في بحوث القدامى بل كل ما فيها- حسبما رأيناه- تدور حول وجه تسمية كل سورة منها بما سميت به مثلا يقول **الزركشي**- وينقله عنه **السيوطي**- : ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها[2]. ترى معي أن ما ذكره هذان العلامتان

---

١) الشقة بالضم والكسر : البعد والناحية يقصدها المسافر والسفر البعيد.

٢) الزركشي، البرهان، ج ١ ، ص ٢٧٠ ، السيوطي، السابق، ج ١ ، ص ٧٣-٧٤.

جزاهما الله عن كتابه خير الجزاء، حول حكمة تسمية السور لا يعدو ما نقلناه فوق من وجه التسمية الانفرادية أي تسمية كل سورة على حدة. أما تلك النظرة الاستيعابية بحيث تنعكس من الجميع- المكون من أربعة عشر جزأ- صورة متوحدة في المعنى ومتحدة في المغزى مشيرة إلى نظرة شمولية متوائمة مع رسالة القرآن العالمية فهذا ما لم نجد له عينا ولا أثرا.

أما العلماء والباحثون المعاصرون الذين تدور بحوثهم في فلك القرآن فلم نجد فيهم أيضا- حسبما ما فحصنا وتتبعنا- من يحوم حول هذا الحمى سوى أفراد قليلة منهم: **محمود عايد الرشدان** عميد كلية العلوم التربوية في جامعة الزرقاء الأهلية بالأردن حيث مس الموضوع مسا خفيفا في مقال له جيد حول النظام المعرفي في القرآن الكريم نشر في مجلة إسلامية المعرفة السنة الثالثة العدد العاشر فلننقل نص كلمته هناك حول أسماء السور ثم نيمم وجهنا نحو ما رأينا:

"ومما يدل على تنوع النظام المعرفي القرآني وشموله أسماء سور القرآن الكريم حيث نلاحظ أن هذه الأسماء أكثر ما تشتمل علي أصناف أربعة:

١ـ الظواهر الإنسانية والاجتماعية: وهناك أكثر من ست و عشرين سورة تدل أسماؤها على هذه الظواهر مثل **التوبة، الحج، الأحزاب، الشورى، المجادلة، الصف، المنافقون، الطلاق، الهمزة، التكاثر، المطففين**...وغيرها.

٢ـ الظواهر والآيات الكونية: وهناك أكثر من اثنتين وعشرين

سورة تدل أسماؤها على هذه الظواهر مثل: **الرعد، النور، الدخان، النجم، القمر،التكوير، الانفطار، البروج، الزلزال**... وغيرها.

٣ـ **الأقوام والأمم**: وهناك أكثر من أربع عشرة سورة تدل أسماؤها على هذه الموضوعات مثل: **يونس، هود، يوسف، إبراهيم، مريم، سبأ، الروم، قريش**... وغيرها.

٤– **أسماء الحيوانات وما يتعلق بها: مثل البقرة، الأنعام، النحل، النمل، العنكبوت، الفيل**... وغيرها[1]

إن هذه المقاربة جيدة حسنة متوائمة مع روح القرآن ورسالته العالمية وفي الوقت نفسه تدل على أن مسلمي عصرنا يمشون- وإن كان وئيدا- إلى آفاق قرآنية جديدة متطلعين منها إلى شهود حضاري عالمي بديل مما يبث روح الأمل فينا جميعا نحو مستقبل إسلامي مشرق فإن تقدمنا إلى الأمام ولحوقنا بركب الحضارة الإنسانية وخصيصا في يومنا هذا مما لا سبيل إليه إلا بأن نقدم للإنسانية صورة حضارية مشرقة مستوعبة تجد الإنسانية فيها بغيتها من الغناء المادي والطمأنينة الروحية إلى العدل الاجتماعي إلى حماية حقوق جميع من كان في حمايتنا وتحت سلطتنا إلى التنمية الاقتصادية والاجتماعية- كما أسلفنا- فإذًا لا بد للإنسان المسلم من أن يتحرك تحركا إيجابيا سليما للقيام بهذا الدور الهام المتحتم فإن التخطيط لتحشيد القوى المعنوية والمادية والإنسانية والمعرفية

---

١) محمود عايد الرشدان، **حول النظام المعرفي في القرآن الكريم**، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثالثة، العدد العاشر، خريف، Maryland USA ١٩٩٧ ء ٣١.

في سبيل بناء بنياننا الذاتي والاجتماعي والحضاري أصبح من الضروريات الملحة.[1]

ولكن نرى أن الأستاذ **محمود عايد الرشدان** طوى المسئلة طيا وأجملها إجمالا فلو فصلها بعض التفصيل لكان أوفق بمقاله القيم حول النظام المعرفي في القرآن الكريم.

وكنت قبل الاطلاع على مقال **الرشدان** ببرهة من الزمن يشغل فكري بين حين وآخر وجه دلالة أسماء سور القرآن على الرؤية الحضارية القرآنية وكنت أتحدث مع زملائي عن ذلك مرة بعد أخرى فلما رأيت مقال **الرشدان** قوي عزمي في ذلك لأن **الرشدان**- مع أنه شكر الله سعيه فتح لي شيئا من الأفق في ذاك الموضوع الذي طالما انشغل به فكري- طوى- كما أسلفنا- كثيرا من الجوانب وأجمل وأوجز وترك ما لا بد منه من التفصيلات التي هي روح الموضوع بحيث يصعب معه بعض الصعوبة أن يستفاد منه الرؤية الحضارية القرآنية فحاولت أن أقيد ما سنح لي في ذلك متوكلا على الوهاب المنان ومستمدا منه التوفيق والإحسان.

وبعد أن انتهيت من عملي هذا اطلعت على ترجمة تركية لرسالة لعالم العلوم الاجتماعية **علي شريعتي** الإيراني باسم **نظرة في القرآن** فرأيت أن أشار قبلي بما يناهز أربعين عاما إلى استنباط نظرة

---

١) محسن عبد الحميد، **الإسلام والتنمية الاجتماعية**، دار المنارة، الطبعة الأولى، جدة، بلا تاريخ، ص ١٥.

حضارية من أسماء السور تقارب ما ارتأيناه هنا لكن مع إجمال بلا تفصيل وإبهام بلا تبيين فرأيت أن أدخله هنا بواسطة جهاز الحاسوب الآلي استيفاء للموضوع حيث إني التزمت أن أذكر هنا جميع ما اطلعت عليه حول تسميات السور مما ذكره من قبلي والمعاصرون.

هذا نص ما ذكره **علي شريعتي** في تلك الرسالة (اقتبسناه من الترجمة التركية):

"فلنبحث الآن في القرآن كي نظفر بالنزعة/النظرة القرآنية المأخوذة من أسماء السور وتقسيم مواضيعها وعن تثبيت أن أيا من المواضيع توجد في السورة بكثرة وأيا منها توجد بقلة، وفي نتيجة البحث نرى أن القرآن اهتم حسب الترتيب بهذه المواضيع التالية:

المواضيع الاعتقادية والفلسفية والفكرية في سبع وعشرين سورة،

مواضيع العلوم الطبيعية في أربع وعشرين سورة

" **الإنسانية** في اثنتين وعشرين "

" **السياسية** في إحدى وعشرين "

" **الاجتماعية** في تسع عشرة "

" **الأخلاقية** في ثلاث عشرة "

" **التاريخية** في تسع "

" **الرموزية** في أربع "

" **العبادات والأحكام** في أربع "

" الاقتصادية في سورتين[1]

إن شريعتي مس الموضوع مسا لطيفا وإن فصل شيئا من التفصيل الموضوعات القرآنية من خلال سورها. ولكن هو أيضا لم يفصل النظرة القرآنية المستنبطة من أسماء السور تفصيلا وافيا كما أسلفنا بل أجمل الأمر إجمالا فإنه لم يبين أن اسم أي سورة يشير إلى أي موضوع أو داخل تحت أي قسم أو أي محور.

1) Ali Şariati Kur ana Bak 3. Bas. Çev. Ali Seyyidoğlu Fecir yay. Ankara 1992 s 122.